فام المريد المتوجه بالعزلة لنزول ما اعتاده من شهودها
لذاتها عن قلبه حتى انساه وفنى عنها بما هو مقبل عليه ومشتغل
به ورسخ نور المعرفة في قلبه وسكن وتقرر اطلاقه في شهودها
لانه حينئذ لا يشهد لذاتها فتصير في حقه نورا بعد
ان كانت ظلمة وقد قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
في كتب المنزلة على انبيائه من اطاعني في كل شيء اطعته في كل
شيء فقال الشيخ ابو الحسن من اطاعني في كل شيء بهمه انه كل
شيء اطعته في كل شيء بان انجلى له دون كل شيء حتى يراني
اقرب اليه من كل شيء وهذه طريق اولي وهي طريق السالكين
وطريق كبرى من اطاعني في كل شيء اطعته في كل شيء بان انجلى له في كل شيء
ارادة مولاه في كل شيء اطعته في كل شيء بان انجلى له في كل شيء
حتى يراني في كل شيء حال في لطائف المنن واذا تحقق عرفت
هذا انها علم انها ولايتان ولي يفنى عن كل شيء فلا يشهد مع
الله شيئا وولي يبقى في كل شيء فيشهد الله في كل شيء وهذا اتم
لان الله سبحانه وتعالى لم يظهر الممكنة الا ليشهد فيها فالكائنات
مرايا للصفات فمن غاب عن الكون غاب عن مشهود الحق فيه
فما نصب الكائنات لنراها ولكن لنرى فيها مولاها فمراد الحق منا
ان نراها بعين من لا يراها نراها من حيث ظهوره فيها ولا نراها
من حيث كونها ولنا في هذه المعنى

ما ابيت العالم الا لتراها بعين من لا يراها فارق عنها وفي
من ليس يرضى حالة دون ان يرى مولاها فالناظر للكائنات
غير مشاهد للحق فيها غافل والفاني عنها بسطوات المشهود
ذاهل والشاهد للحق فيها عبد مخصص كلمن انتهى وهو الحق
موضح مراده من كل ما ذهب الكلام فان قلت هذا اوضح الاعتبار
عليه فلم اعتبر سيدي ابن عباد وسيدي زروق فهذا

كامل

فهذا المقام العدم الاصلي فالملاحق للاكوان واي ارتباط للذاكر بمقصود
المؤلف قلت مقصوده المص التوهيد في الاكوان والاعراض عنها
بمضادتها للنور المقصود ومما يعين على ذلك وسهله على النفوس
النظر الى عدمها في الماضي وفي الاتي وهي الحال بامكان خلقة للوجود
خارج الانسان قد يكون حاضرا معلوما صحيحا بفعل الابدان الاقعاد
الشاقة فتخرج روحه فجاءة فاذا هو كالخشبة فاعتبر ما اضعف
هذا الوجود المحفوف بالعدمين المحوز عليه في كل لحظة الزوال او
الفقد وكما انا ابدا رايناه خيط عنكبوت في الهوا الانعناء به ولا
تشغل قلوبنا شانه ولا نعتمده في شئ لغاية ضعفه فكذلك
جميع الاكوان عند العارفين اذ كلام لا تملك لنفسه فضلا عن غيره
نفعا ولا ضرا وكلهم يجوز عليه الانعدام في كل لحظة بنماذج و
السطوة القوي من الناس يرجى ويخاف ويدعى اذ ينزل به مرض
يقهره ويفنيه ويشغله باضعف الاشياء قوله رضي الله تعالى
عنه ص فمن شهد الاكوان الكون ولم يشهدها فيه او عنده او هو
قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس
المعارف بسحب الاثار ش تقدم ان الاكوان انما البرزت لكي
يشهد لحق تعالى فيها فهي مرايا والا للتعريف فمن جعلها مقصدا
وشهدها من حيث كونيتها فهو مخطئ من وجهين احدهما انه
اخرج الوسيلة عن حكمها وجعلها هي المقصد وثانيهما انه غفل
عن المقصد فغايته منزلة من قيل انظر ما في المراة فنظر المراة
ولم ينظر ما فيها فانه لم يؤمن نظر المراة فنظر وامر بنظر ما فيها
فلم ينظره فهذا كون المانع قائم بالمراة كصدا او وساخ
لصقت بها وهذا مفقود في الاكوان لان الصلاحية لشهود المكون
فيها لانها رقيمة البتة او المانع قائم بالناظر كما اذا نظر اليها
فاعجبته صورتها ونقشها فاشتغل بذلك واذهله عن شهودها

فيها

فيها فلم يخطر له قط اذكرا ان ذاكر من النور ما نفذ به الى رويته ما
فيها وهذا هو المحجب الذي يوجد في الاكوان فصاحبه قد اعوزه
وجود الانوار اي فاته واتقاه محتاجا الى النور وحجبت عنه
المعارف التي هي كالشموس في اظهار الاشياء والكشف عن حقائقها
والتوصيل الى مشاهدتها بالاثار اي الاغيار التي هي كالسحب
جمع سحاب في تغطية الانوار وسترها عن اعين الناظرين
فالمقصود شهوده موجود والات الشهود حاصلة
لكن حال بين الشاهد والمشهود حائل منعه من شهوده
فيها وهو افتتانه بزينة المراة وقوفه فيها الا جعلنا ما
على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا اي اتم عقلا فلا تقف
عند الزينة وتنفذ الى ما وراءها ومن ليس لذلك وصل لم
يشهد هاهنا من حيث كونيتها فلم تفته الانوار ولم تحجب عن شموس
المعارف وهذا مفهوم الكلام وهو صاحب من شهد الاكوان
المكون فيها وعندها وقبلها وبعدها والتفرقة بين هذه المراتب
على الحقيقة هنا موكول الى اريها نبها فاض الله علينا من بركاته
تتمم بفضله لكن لا باس بالكلام على ذلك بحسب دلالة
الالفاظ فقط فنقول شهود المكون في الاكوان عبارة
عن شهود افعاله وتصرفاته فيها بعد وجودها وتحققها
ولا شك انها ظروف ومحال لذلك وملئ ومنه لم لا لفيفا فيها
طرفة عين ما من نفس تتنفسه لم فيه قدر يمضيه وهذا
من شهد في الاكوان الاتقان الدال على العلم والتخصيص
الدال على الارادة والصحة والمرض والانقباض والانبساط
والنوم واليقظة الى غير ذلك من اثار القدرة الدالة عليها
فصاحب هذه الحالة غير متشغل بالاكوان ولا هي المقصود
له في نظر ولا شهود ان لم يغن عن شهودها فهو كالفاني لانه

لو سئل عنها في الاجمال من وراء وراء لعدم الالتفات اليها
واشتغاله بها كالناظر للصورة الجميلة في المرآت فانه لا يستطيع
في هذه الحالة تفصيل نعت المرآة ولا مثل ان صاحب
هذه الحالة لم تنطبع صور الاكوان في مرآته ولم يكمل قلبه
بشهوده وقد تظهر من جناية غفلاته وتاب من تهفواته
وشهوده عن الاكوان عبارة عن شهوده مع شهودها
بان يكون اعتاد ذكر الله بقلبه واستحضار انه الموجد الحق
وان وجود الاكوان عارية معطاة وليس لها وجود حقيقي
وتكررت هذه المعاني على قلبه بالتذكر والتعقل فصار مهما
شهد الموجودات الوهمية تذكر الموجود الذاتي فشهود
صاحب هذه الحالة اضعف من شهود من قبله فلم يقف مع
الاكوان ولم يصرف شهوده كله لها كما انه لم يصرفه كله للمكون
فهو خبير في شهوده عن الاكوان وعن المكون ولكن من
غير استغراق فمن ينظر في المرآت يقصدها وقصد ما فيها
فاذا سألتم عن المرآت اخبر واذا سألتم عن ما فيها اخبر
ولكن دون اخبار الاول عن ما فيها مع معرفة انقص منه بقصور
الاكوان ايضا غير منطبعة في مرآته ولا هو مكبل شهوده
ولا مطلع بغفلاته ولا متبع لتهفواته فهو من الواصلين
الا ان وصوله دون وصول الاول ومرتبته في الحضرة
ليست كمرتبة الاول وشهوده قبلها شان اهل الجذب
الواصلين الممكنين الذين لا سبق لقلوبهم الا الله والاكوان
في نظرهم مثل شاشة كالهباء في الهواء فهم مشتغلون بالله
لا غير لكن لتوفية الحقوق واقامة دائرة التكليف
جعلهم الله يستدلون به على الاشياء فيستدلون بالذات
على الصفات وبها على التعلقات وبها على المتعلقات فصور

الاكوان في نظرهم هؤلاء كلا صور لا تهتدي قلوبهم اليها الا باستدلال
لانهم لانسوها بالفناء السابق على البقاء وطال عهدهم بها فصارت
محتاجة عندهم الى النظر والاستدلال وصاحب هذه الحالة يشهد
الله شهودا مجردا مستقلا لا يتوقف على شهوده للاكوان ويشهدها
فيها اذا استدل به عليها وتنزل اليها فقد انفرد عن الاول بـ
الشهود المجرد وشهود بعدها شاء ان اهل السلوك المستدلون
بالاشياء عليه والفرق بينهم وبين المشاهدين عندها ان
المشاهدين عندها شهدوها وجدها بل شهودهم
لها مقارن لشهود المكون وهؤلاء شهدوها وجدها
ابتداء ثم ينتقلون من شهودها الى شهود المكون فهم سائرون
في الطريق الا الان لم يصلوا لحضرة فلصور الاكوان بعض تعلق
بقلوبهم فتسبق اليها ثم يتذكرون فانطباع صور الاكوان في مرآت
قلوبهم ضعيف جدا كاد ان يفنى يفنى لكنه الى الان لم يفن فالانوار مشرقة
في قلوبهم اشراقا غير تام وهم متعلقون بها متعلقون بالحضرة ومتطلبون
لها قد لاحت لهم على قلوبهم مبادي انوارها فلهم دخل ما في الطهارة الان
طهارتهم لم تتم وانت لم تخرق العوائد ومن المعلوم العادي الطبعي
ان التحلية فرع التخلية فالاشتغال بالتحلية هو في الحقيقة اشتغال
بالتحلية والاشتغال بالتحلية بدون التخلية اعراض عن التخلية قال في
الاحياء اعلم ان الله تعالى اذا اراد بالعبد بعدا خيره ابصر بعيوب نفسه
فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم بل دون العذاب القذى في عيونهم
في اعين غيرهم ولا يرون الجذع في اعين انفسهم نفوسهم ممن اراد ان
يتفقد في عيب نفسه فله اربع طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ
بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الافات ويجعله على نفسه و
يتبع اشارته في مجاهدته وهذا عزيز في هذ الزمان وجوده الثاني

انت نعم المتاع لو كنت تبقى ،، غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيها بد الناس منك عيب عابه الناس غيرانك فان
فاعرض بوجهه ثم خرج الى المسجد فصعد المنبر وصوب
سمع من آخر المسجد فركبته الحمى فلم يزل صوته ينقص
حتى ما سمعه من حوله فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجليه
فلما صار على فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي
في صحن الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون لغيبة
والم الى نفسه ثم عهد عهده واوصى وصيته فلم تدر عليه
لحمة الا وهو ميت في قدره انتهى وعد بما دونه من اول
ليكون الكلام كالمثال صالحا للتنزيل على المعروب مما
هو لازم وللمجانسة قوله رضي الله تعالى عنه ص فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور هو الصدور
ش يحتمل انه اتى بالآية تقريرا للتعجب وبيانا لان خفايا
السبب وذلك ان سبب هروب العبد مما ذكر وان عرف وعلم
انه تعمى البصيرة لكن حقيقة كيفية تعمى البصيرة من الامور
الباطنة لخفية اذ البصيرة نفسها باعتبار كنهها خفية فقد
تحقق خفاء السبب المقتضي للعجب ويحتمل انه اتى بها استدراكا
عليه رجوعا عنه وكانه قال قولي لكن لا تعجب فان البصائر تعمى واسم
ان للشاذ والقضية والمعنى ان العمى الاعظم ضرره ليس هو تعمى
الابصار بل هو عمى البصائر اذ عمى الابصار انما يحجب عن المحسوسات
الخارجية وعمى البصائر عن المعاني القلبية والعلوم النافعة
الربانية فعمى الابصار بالنسبة اليه كلا عمى تحالف الكشاف
فان قيل اي فائدة في ذكر الصدور قلت الذي قد تقرر
واعتقد ان العمى في الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب
الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة

ومثله

الحملة

ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب
حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة
تقرير وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار
كما تقول ليس المصاب للسني ولكنه للسائل الذي بين
فكيف فعولك الذي بين فكيف تقرير لما ادعيته للسانه
ونفسه تثبيت لان محل المضاهر هو الاغبر وكذلك قلت
ما نفيت المضاعف السني واثبته للسائل فلت ولا سهو مني و
لكن تعمدت بداياه تعمد انتهى قلت يقال على قوله
كما التي في الصدور ما في الصدور هو اللحم الصنوبري الشكل
الموضوع في جانب الايسر من الصدور الذي في باطنه تجويف وفي
ذلك التجويف دم اسود وليس هو المتصف بالعمى كما انه لا يتصف
بالابصار في الادراك وانما المتصف بالابصار والادراك
لطيفة ربانية هي حقيقة الانسان وبها كان الانسان انسانا
وامتاز عن غيره من الحيوانات وهي المدرك العالم العارف
من الانسان وهي المخاطب والمطالب والمعاقب والمثاب
وهذه اللطيفة وان كانت اسم القلب يطلق عليها وترادمنه
ويستعمل فيها لكن قوله التي في الصدور يمنع اذ الصدور الذي
في الصدور هو اللحم الموصوف بما تقدم وبين لك ما سبق ان هذا
اللحم موجود للبهائم والموتى وليس هو المدرك والمبصر والعمى ضد
البصر فانما يعرض لمحل الابصار لا لغيره فافهم ولجواب
ان تلك اللطيفة الربانية لها تعلق بالقلب الجسماني وارتباط بتلك
اللحمة الصنوبرية قال في الاحياء وقد تحار عقول اكثر الخلق
في ادراك وجه العلاقة وان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض
بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل
للآلة بالآلة وتعلق المتمكن بالمكان انتهى فتبين معنى قوله

التي في الصدور اما باعتبار ان اللطيفة قائمة بما في الصدور
فهي في الصدر واما باعتبار ان المعنى ثابت للجسم الذي في الصدر
لقيام ما به الابصار به لكن بقي ان يقال هلا قال ولكن تعمى البصائر
فانه اوضح اذ البصيرة ناظرة القلب كما ان البصر ناظر العين وكل
يعرض العمى ويستغنى عن قوله التي في الصدور اذ البصائر عهدت
نسبة العمى لها وكثر ذلك في الاستعمالات حتى صار
فاشيا معروفا لا غرابة فيه ويحصل التجانس بين الابصار والبصائر
والجواب ان العمى كما نسب الى البصر الذي هو القوة المودعة
في العين نسب الى العين نفسها وذلك ابلغ وكذا كما نسب للبصر
المودوعة في اللحم نسب للحم نفسه وذلك ابلغ كأنه نسب
ذهابه بالحالة التي في المحل فسلك هنا ذلك للابلغية المذكورة
اذ المقول فيه ذلك احق بها ودل على ذلك بقوله التي في الصدور
فهو محتاج اليه لذلك والتجانس وان فات نوع منه وهو الصريح
وقد حصل اخر وهو المكني عن احد ركنيه بالقلوب كما فيه من
الدلالة على عمى البصائر وقد تبين ان قوله التي في الصدور
ليس لتقرير خلاف المعتقد كما زعم في الكشاف لان نسبة العمى
الى القلوب من المعتقد الفاشي المشهور وان كان مجازا لغويا
وانما هو لتعيين ارادة احد المعنيين المجازيين وهو الابلغ
قوله رضي الله عنه ص لا ترحل من كون الى كون تكونون
كحمار الرحى يصوت يسير والذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل
عنه ولكن ارتحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى
وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة
والسلام فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل هذا الامر فانه كنت داخم

الحكمة

والسلام

والسلام ش د له قوله العجب كل العجب الى اخره على ماذم تلك الحالة
والنهي عنها وافهم ان المحمود والمامور به هو الهرب مما لا يقالم
وطلب ما لا انفكاك عنه والهرب من شيء الى شيء ارتحال عنه
اليه فاراد المصنف رحمه الله تعالى ان يبين كيفية الكيفية الكاملة
في الارتحال ويحقق الطريقة النافذة التي لا تشعب فيها ولا طول
وبسلوكها يحصل الوصول فنهى اولا عن غيرها ثم حض عليها وهذا
الارتحال والسير لانه لما يريد الوصول لانه لما القيت الروح في هذا
القالب الجسماني وتنزلت الى عالم الشهادة كان ذلك حجابا لها
عن عشورها على المعرفة الخاصة فمن اراد العثور عليها لزمه السير من
ارض الحجاب الى سماء الاقتراب حتى تذهب النفسانية وتغلب
الروحانية فترجع الروح الى اصل اصلها فتتاهل لدخول خزينة
المعارف وتتشبع فيها نسأل الله ذلك بمنه وكرمه امين ولاجل ذلك
الحجاب كان السابق في قلوب الصبيان هو اللهو واللعب والشرور والمعاصي
كما قال الامام ابو حامد في الاحياء ولانهم ينشؤن في عوائد اباءهم
واسلافهم فيجدونهم ساعين في شهواتهم مجدين في دنياهم
غافلين عن الله من وظائف دينهم فيكتسب ذلك فيهم ويسبق
اليهم ولان الاصل هو الجهل بمقتضى وانتم اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا وبسبب عموم ما ذكر لزمت التوبة
على العموم كما تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون ومن لم يتب
فاولئك هم الظالمون ثم الناس في الارتحال على انواع منهم من
ينتقل من اركاب المحرمات الى تركها ويجاهد نفسه في ذلك
ايام المجاهدة ويمرنها عليها ويغطمها غرما لما عادت منه
حتى تشعود الترك في مدة مديدة ثم ينتقل بعد ذلك عن التوسع
في المباحات والتساهل في المشتبهات الى التورع عن ذلك حتى
يالفه في مدة مديدة بعد مجاهدة شديدة ثم ينتقل الى التخلي

باخلاص الابرار بان يعمل حذرا من عقوبة الله ورجاء لثوابه
ثم لا الى اخلاص المقربين بان لا يشهد العمل من نفسه بل منة
من الله عليه ثم الى اخلاص الموحدين بان لا يشهد غير الله ومنهم
من ينتقل من مرتبة الى ما فوقها باسقاط الواسطة ومنهم من يسقط
واسطتين ومنهم من يقل مقامه في الوسائط ويسهل عليه تحصيلها
تحصيلها وكلهم منتقل من كون الى كون وان كان الذي انتقل
اليه جليلا عظيما اواجل واعظم ومنهم من ينتقل من الاغيار كلها
ويرتحل عنها بجمعها الى الله تعالى وهذا هو الواصل الراحل
من الاكوان الى المكون فيختصر الطريق ويقطعها في اقرب مدة
وهو ضرب من الجذب وهذه طريقة سادتنا النقشبندية
نفعنا الله بهم وجعلنا منهم من المحشورين في زمرتهم امين ولهذا
قال رئيسها الاول مولانا عبد السلام رضي الله عنه من دلك
على العمل فقد تعبدك ومن دلك على الله فقد نصحك قال الامام
المحقق سيدي داود الباغلي في شرح حزب البحر جاء
الشاذلي رضي الله عنه في طريق الله تعالى الاسلوك العجيب و
النهج الغريب والمسلك العزيز القريب جمع في ذلك بين العلم
والحال والهمة والمقال اشتمل على طريقة على السلوك والجذب
والمجاهدة والعناية واحتوت على الادب والقرب والتسليم
والرعاية الى ان قال فاستوت بتوفيق الله تعالى في نقطة الاعتدال
وظفرت دون كثير من الطرق بوصف التوسط والكمال انتهى
فنهى المصنف عن غيرها من الطرق التي فيها طول وصعوبة بقوله
لا ترحل من كون الى كون المرحل اليه هو العمل على قصد الثواب
ونيل المراتب والمقامات فان قلت تحمد يشكل عليه
تشبيه هذه الحالة بجمار الرحا قلت معنى تشبيه به انه
لم يصل الى المقصد ولم تظفر بالمنهى فيستريح والافليس بمنزلته

من كلام وجيه

فلا يصل اليها الا بعد فالطلب من القدر ولا فرق بين المرام المطلوب وبين الطلب في
انهما مقدوران خلافا لمن زعم وكذا التوكل مع السبب لا منافاة بينهما لان
التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا تضاد مع اختلاف المحل و
كان بعض الملوك يعتقد بطلان سنة الطلب ويرى محض القدر
فيتركه الطلب والتدبير فاخرجه اخوته من سلطانه وقووه على مملكته
فقال له بعض الحكما ان ترك الطلب يضعف الهمة ويزيل النفس وصاحبه
صاير الى ذوات اخلاق ذوات الاخرة من الحيوان كالحشرات تنشأ
في احجارها وفيها كون موتها فلابد من جمع بين القدر والطلب وضرب
له مثلا عجيبا وقوله اعمى ومقعدا كانا في قرية في فقر وضر لا
قايد لاعمى ولا حامل لمقعد به وكان في القرية رجل يتصدق عليهما فلم يزالا في عافية الى ان هلك الرجل فاشتد جوعهما وبلغ الضر
منهما جهدا واتفق راياهما على ان يحمل الاعمى المقعد فقد له المقعد
على الطريق ببصره ويستقل الاعمى بحمل المقعد فبدوا ان في القرية
مستطعما ان اهلها ففعلا فصح امرهما وبه يفعد هلكا وكذلك
القدر سبب الطلب والطلب سبب القدر فاخذ الرجل في الطلب
فظفر باعدائه ورجع الى مملكته فكان يقول بعد ذلك لا تنافر الا لمن
اعتمد على القدر ولا تخشن فيه غافلا عن القدر ومعنى حديث
من استرقى واكتوى فقد برئ من التوكل اي معتمدا عليهما و
فيهم من المتن ان دليل الخاص البصيرة نعم اجتماع الامرين قاد
الاجتهاد في طلب الرزق مع القيام بالمفروض المحقق فمن
غير تقصير لا يدل على ذلك بل هو لجهاد اليقين وقد خرج ابن عساكر
من حديث انس بل مال من مات كان من طلب الحلال بات
مغفورا له ولما اوجب الله قيام الليل وسخ ذلك بين ان حكمة
النسخ تعذر القيام على المرضى والمسافرين في الارض للتجارة
والمجاهدين في سبيل الله فقال علم ان سيكون منكم مرضى